

السنوسي في مؤلفات المغاربة: توحيد ابن عاشر لابن كيران أنموذجا

Al-Senussi in the works of the Maghrebins: Explanation of Tawhid Ibn Asher by Ibn Kiran as a model

رفيق قادة*

مخبر توثيق الشعر الشعبي منذ العهد العثماني إلى القرن العشرين جامعة تلمسان
(الجزائر)youcefelhakim@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/09/25

تاريخ الاستلام: 2023./06./07.

● الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن تأثير المغاربة بالإمام السنوسي ومكانته العلمية، ودوره في الحفاظ على عقائد أهل السنة بتجديد الدرس الأشعري ومادته العقديّة والكلامية بالغرب الإسلامي، ما سهل الإقبال على دراسة أقواله وأثاره من قبل المغاربة، فكانت حاضرة في مصنفاتهم ومؤلفاتهم، ومن هؤلاء محمد الطيب "ابن كيران" الذي أعتمده في كثير من شروحاته ومؤلفاته ومن أهمها شرح توحيد ابن عاشر وتوصلت الدراسة بعد استقراء تاريخي وتحليلي لأهم مكونات الدرس العقدي إلى إبراز الأثر الذي تركه السنوسي وتحليلاته التوحيدية، في حياة المغاربة عامة ومؤلفاتهم خاصة

كلمات مفتاحية: السنوسي؛ ابن كيران؛ الأشعري؛ علم الكلام؛ العقيدة؛ أم البراهين.

Abstract:

The study leads to reveal the Maghrebins influence on Imam al-Senussi and his scientific status, and his role in preserving the beliefs of the Sunnis by renewing the Al-ashari lesson and its doctrinal and rhetorical material in the Islamic West, which facilitated the demand for the study of his sayings and effects by Maghrebins's so it was present in their works and books, and among them is Muhammad al-Tayeb "Ibn Kiran", which he relied on in many of his explanations and writings, the most important of which is the explanation of the monotheism of Ibn Asher.

Keywords: Al-ashari ; AS-Senussi; Ibn Kiran; theology; Doctrine; Um El barahin.

مقدمة:

عرف الفكر الإسلامي في أواسط القرن التاسع الهجري نوعا من الانتعاش والحيوية مع الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ) الذي شكل نقطة تحول في الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي¹، حيث صنف في العقيدة عدة كتب كالكبرى والوسطى والصغرى؛ والمقدمات، والتي لقيت قبولا واسعا في العالم الإسلامي عامة، وفي الغرب الاسلامي خاصة، ومن تأثر من المغاربة بآراء السنوسي ومؤلفاته، الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المعروف بابن كيران الفاسي (ت 1227هـ) فقد استطاع السنوسي أن يخرج الدرس العقدي الأشعري من الممارسة النظرية إلى الواقع العملي، مما كان له الأثر في قبول آراء السنوسي واعتمادها مرجعا أساسيا في الفكر الأشعري، وجسده ابن كيران من خلال آرائه في توحيده؛ من هنا تأتي هذه الدراسة للتعريف بآراء السنوسي، وأثره في إعادة إحياء الدرس العقدي بخاصة، والساحة الفكرية عامة، و ويروم هذا المقال معالجة الإشكالية التالية: لماذا تأثر ابن كيران بآراء السنوسي العقدية؟

وتفرض الإشكالية السالفة مجموعة من التساؤلات:

من هو ابن كيران ؟ و ما هي آثاره ومصنفاته ؟ وما هي المسائل التي تناولها السنوسي. وأفاض فيها ابن كيران أو أعترض عليها في توحيده ؟ وإلى أي حد كانت آراء السنوسي مرجعا للمغاربة والحركة الثقافية والعلمية ؟

ويسعى البحث للإجابة على هذه التساؤلات قصد التعريف بشخصية ابن كيران وإنتاجه الفكري والأدبي وسر تأثيره بالإمام السنوسي ومدى قبوله بآرائه أو اعتراضه على بعضها أحيانا. وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي قصد ضبط الأحداث بصورة موضوعية وعلى المنهج التحليلي والاستقرائي لتفكيك بنية الدرس العقدي، وتوصلت الدراسة الى إبراز أهمية دور الإمام السنوسي في التأثير على الدرس العقدي مغاربيا بإعادة إحيائه وبعثه من جديد وبما يكفل له لعب الأدوار الأساسية على المستوى التربوي والعلمي.

1. السنوسي في مؤلفات المغاربة: شرح توحيد ابن عاشر لابن كيران أنموذجا

1.1: التعريف بالمؤلف:

1.1.1: أسمه ونسبه وكنيته²

هو محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي دارا ومنشأ، أبو عبد الله ؛ فاضل، مالكي من فقهاء فاس ، شيخ الجماعة وعالم الأعلام، خاتمة المحققين، وحامل راية المدققين. فقيه وعالم ومشارك في الأصول والفروع والمفردات والجموع العلامة النظار، المطلع الحافظ، المفسر الكبير.³

1. 1. 2: مولده ونشأته:

ولد العلامة أبي محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام المعروف ب:ابن كيران عام 1172 هـ / 1785 . 1786م " بفاس " مدينة العلماء والأفذاذ، والسادة الأخيار، ترعرع ابن كيران ونشأ في أسرة اشتهرت بالعلم وحب الخير والصلاح والعلماء، وظهرت على محمد الطيب "ابن كيران"

¹ - عبد العزيز صغير، دخان، الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي وجهوده في خدمة الحديث، دار كردادة للنشر والتوزيع، ط1، 2011، 1432، ص4.

² - ينظر ترجمته في : النبوغ المغربي لكونون، ج 1 ص 294، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 376 رقم الترجمة 1506 ، الأعلام للزركلي ج 6 ص 178 ، الاستقصاء للناصري ج 4 ص 149.

الفكر السامي للحجوي، ج 2 ص 351 رقم الترجمة 781، سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 2.

³ - ابن كيران، أجوبة وتقاييد، في تفسير كتاب الله العزيز، تح: الحسن الوزاني، ص 19

بوارد النبوغ والذكاء، والاجتهاد منذ المراحل الأولى من حياته، وكان يتمتع بذاكرة قوية شهد له بها أقرانه، وفي زمن يسير حصل على علم كثير فنفع وانتفع وشارك شيوخه في كثير من تلامذتهم. ولما آنس منه شيوخه هذا النبوغ المبكر في التحصيل والإدراك بدأوا يقدمونه في المجالس¹،

1. 1. 3: شيوخه: . وكان من جملة من أخذ عنهم:

- أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس شيخ الجماعة في وقته (ت 1182)².
- أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف بن العربي الفاسي الفهري خاتمة المحققين الأعلام (ت 1188)³.
- أبو الحسن زين العابدين المدعو زين بن هاشم العراقي الحسيني (ت 1194هـ)⁴.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الإمام الهمام العلامة النحرير (ت 1194هـ)⁵.
- أبو محمد عبد الكريم بن علي الزهني اليزغي (ت 1199هـ)⁶.
- أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة (ت 1209هـ)⁷.
- أبو محمد الفاسي عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون (ت 1219هـ).
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصر الدرعي، خاتمة الحفاظ (ت 1239هـ)⁸.

1. 1. 4: تلاميذه

وبعد أن ظهر نبوغه، وذاع صيته العلمي في كل مكان، رغب إليه الطلبة في التلمذ عليه، والاستفادة منه، وأخذ عنه قوم لا يحصون كولد سيدي أبي بكر، وسيدي حمدون ابن الحاج، وأبي عبد الله الزروالي، وأبي عبد الله بن منصور، وسيدي محمد التهامي بن الحاج محمد البوري، وسيدي محمد بن الحسن أقصي، وسيدي محمد المدني الغري، وأبي العباس بن عجيبة، وسيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الفلاي، وسيدي العربي بن محمد الدمناتي، والقاضي مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي، وسيدي الوليد العراقي⁹..

1. 1. 5: مصنفاته:

كان الشيخ ابن كيران من العلماء المبرزين في التأليف، ولم تقتصر مؤلفاته على فن واحد من فنون المعرفة الإنسانية، بل كل المجالات العلمية قال الشيخ عبد القاهر الكوهن (ت 1254) وهو أحد تلامذته النجباء: «يعرف أكثر الفنون على نهج الاجتهاد، وهو إن لم يجتهد بالفعل للقطع بانقطاعه فقد كاد، أما العلل فلا يقلد فيها ولا يرى النظر الإجمالي يكفيها»¹⁰.

1. 1. 6: أثارة العلمية: ولقد ألف رحمه الله في كل فنون المعرفة، ومن أهمها¹¹:

- 1 - ابن كيران، المرجع السابق (ص 21، 22)
- 2 - ينظر: شجرة النور الزكية: 511/1، تحاف المطالع: 28/1
- 3 - شجرة النور: 513/1، تحاف المطالع: 37/1، 662
- 4 - تحاف المطالع: 48/1
- 5 - الحجوي، الفكر السامي،
- 6 - شجرة النور الزكية: 539/1، تحاف المطالع: 58/1
- 7 - شجرة النور الزكية: 533/1، تحاف المطالع: 78/1
- 8 - شجرة النور الزكية: 546/1، تحاف المطالع: 133/1
- 9 - شجرة النور الزكية: 541-543، أجوبة و تقايد في تفسير الكتاب العزيز: ص 27.
- 10 - ابن كيران، أجوبة و تقايد في تفسير الكتاب العزيز، (مص، س) ص 33
- 11 - المرجع السابق، ص 33 وما بعدها

التفسير: تفسير من سورة النساء إلى غافر، تفسير طرف من البقرة، مجموع من الرسائل التفسيرية.

الحديث: شرح العشرة الأخيرة من الأربعين النبوية، تقييد في قوله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولد ولده. حكم لفظة: "قال" في سند الحديث.

الفقه: تقييد على قول خليل في مختصره، تقييد في الستة نظماً ونثراً. شرح الرسالة القيروانية.

اللغة والأدب: نظم بديع في المجاز والاستعارة، أرجوزة في الشرفاء القادرين، تقييد في حقيقة الهمة المسهلة وحقيقة التسهيل، تقييد على تلخيص المفتاح.

العقيدة والتوحيد: شرح توحيد المرشد المعين، شرح كتاب العلم من الإحياء، تقييد تراور أهل الجنة وتحسرهم، جواب لأمر المؤمنين سليمان عن مسألة الكسب وخلق أفعال العباد.

التصوف والأخلاق: شرح الصلاة المشيشية، شرح الحكم العطائية، عقد نفائس الآلي في تحريك الهمم العوالي.

السيرة النبوية: شرح على ألفية العراقي في السيرة.

فضلاً عن مؤلفات أخرى في المنطق والفلسفة وموضوعات مختلفة.

1. 1. 7: وفاته:

لقد قضى ابن كيران العالم الجامع أيام حياته بين درس وتأليف وتحصيل وتدريس وعبادة وزهد حتى رجعت روحه إلى ربها راضية مرضية، صبيحة يوم الجمعة السادس عشر من محرم الحرام فاتح عام 1227هـ/1812 م، وكانت جنازته مشهودة، حضرها خلق كثير حيث تركت وفاته فراغاً كبيراً في الساحة العلمية.

1. 2: التعريف بشرح ابن كيران

1. 2. 1: التعريف بالمخطوطة

شرح ابن كيران هو تفسير ملتن "ابن عاشر" عبد الواحد بن بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي (1040هـ) وقد سمى ابن عاشر متنه بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين وهي أرجوزة تدور أبياتها حول العقيدة والفقه والسلوك بلغت 314 بيتاً وقد لقيت رواجاً كبيراً ببلاد المغرب وعنها قال محمد بن أحمد ميارة المالكي (1072هـ): «منظومة عديمة المثال في الاختصار وكثرة الفوائد والتحقيق» وهي من أهم المصنفات المالكية التي تم تداولها والاعتناء بها في المغرب العربي، حيث تنافس على حفظها الصغار والكبار، ولقيت القبول لدى العامة والخاصة، وأضحى اسم عبد الواحد بن عاشر من الأسماء المتداولة على كل لسان، وتنافس علماء المذهب في شرحها حتى بلغت أكثر من ستين شرحاً معروفاً، بغض النظر عن الحواشي والطرر التي كتبها أصحابها، ومن أهم شراحها:

ميارة الفاسي (ت 1072 هـ) "الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين"

علي بن عبد الصادق بن أحمد العبادي (ت 1138 هـ) "إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين"

محمد جسوس أبو عبد الله (ت 1182 هـ) "شرح توحيد المرشد المعين"

والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين،

. ومن بين المغاربة الذين اعتنوا بشرح المرشد المعين أبي عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران (1227 ت هـ). وتوجد منه

عدة نسخ :

نسخة مكتبة سيدي الحاج بن شاعة بن الصغير الحزلي بربان ولاية غرداية: وهي نسخة تامة من القطع الكبير في 118 ورقة بدايتها: (حمدا لمن غمرتنا اياديه المتزايدة تفضلا وإحسانا....) وآخرها: (كمل بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل و لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، نسخها الشيخ محمد بن الفقيه ولد الفقيه السيد الطاهر بن يوسف العلوي الشداني يوم: 25 ذو القعدة 1280 هـ. وهي النسخة التي اعتمدها في الدراسة الأكاديمية على ستة (06) نسخ أخرى.¹

2. 2: محتوى الكتاب ومادته العلمية: و الكتاب شرح لثلاثة وخمسين (53) بيتا وهي المتعلقة في معظمها بقسم العقيدة، حيث خصص خمسة (05) أبيات الأولى منها للتعريف بنفسه، وبنظمه، وثمانية أبيات (08) تليها كمقدمة لكتاب الاعتقاد تتعلق بالحكم وأقسامه، وأما القسم الغالب خمسة وثلاثين (35) بيتا تناول فيها المؤلف صفات الله على مذهب الأشاعرة ليختم الخمسة (05) المتبقية كمقدمة لأصول الفقه على غرار ما قام به في قسم العقيدة .

حيث أشار ابن كيران إلى أقسام الدين الثلاث: الإيمان والإسلام والإحسان، من خلال مهمات العلوم الثلاث العقيدة والفقه والتصوف، غير أنه لم يكمل هذا الشرح؛ فكان تركيزه منصبا على رسم معالم منهج واضح ومتميز، يعتمد أساسا على سلامة العقيدة، التي تشكل المحور الأساسي في البناء المعرفي والثقافي من خلال الاختيارات الأساسية التي ساقها ابن عاشر في منظومته، وقام ابن كيران بتيسير القول فيها، ومحاولا اكتشاف المهمة التي تؤسس لتصور الإنسان وحياته، ويبدو ذلك جليا من خلال العنوان " المرشد المعين " لذلك كان تفكير ابن كيران منصبا على تبيان معالم العقيدة الأشعرية مستفيدا من أئمتها الكبار- الذين واجهوا مختلف الفرق الضالة-، بدءا بأبي الحسن الأشعري ومرورا بالباقلاني والجويني والغزالي، وصولا إلى صاحب -هذه الصناعة- الإمام محمد بن السنوسي التلمساني (ت895هـ) مجدد الدرس العقدي والأصولي في العالم الإسلامي وهو ما بدا واضحا في منظومة الناظم ابن عاشر نفسه الذي أصّل تلك المقدمات العقدية في نظمه البديع ، وزادها ابن كيران شرحا وتفصيلا. فكانت معالم هادية

1. السنوسي في مؤلفات المغاربة

3. 1. مؤلفات السنوسي ومسائله

2. 1.1. المؤلفات الواردة في الشرح

ومن أول وهلة يلحظ القارئ أهمية مؤلفات العقيدة السنوسية التي ألف فيها تأليف عديدة، كالعقيدة الكبرى والوسطى و الصغرى وصغرها، والمقدمات، وبالجملة فمصنفاته العقدية لا غنى عنها لمن أراد الارتقاء بفهمه وإحكام قواعد الأصول الدينية² ولعل هذا ما جعل ابن القصار (ت1012هـ)³ يوصي علي بن راشد العلمي (ت1027هـ)⁴ بمطالعة كتب الإمام السنوسي وحفظها ونهاه حتى عن مخالفتها إن لم يتوفر له الدليل؛ بل وسؤال أهل الاختصاص في ذلك: « وطالع كتب الشيخ السنوسي السبعة حتى تحفظها وبالك تخالف الشيخ السنوسي في شيء إلا بعد مشاورة غير واحد »⁵.

¹ - رقيق قادة، كتاب شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، للشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المعروف بابن كيران، دراسة وتحقيقا، (رسالة دكتوراه)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة الدراسية 2021-2022.

² - السنوسي، شرح المقدمات، تح: نزار حمادي، مكتبة المعارف، 2009، 1420، ط1، ص6

³ - محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الأندلسي الأصل، الفاسي، أبو عبد الله المعروف بالقصار (1012هـ) مفتي فاس ومحدث المغرب في وقته: الأعلام للزركلي: 6/7

⁴ - أحمد بن علي الشريف العلمي (ت1027هـ) موسوعة أعلام المغرب: (3/1236-1237)

⁵ - محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي، تح: محمد حجي، أحمد توفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، 1977، 1397: (3/1027)

وقد اعتبره ابن عسکر الشفشاوني (ت 986هـ) الإمام الأوحّد معدن البركات ومبطل الشبهات: «محي الدين وناصر الأمة»¹. ومجدد القرن: «فكان ممن جدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة»². وجعل عقائده الخمس أفضل ما ألف في الإسلام وهو ظاهرة هامة من ظواهر القرن التاسع، وظهرت عليه مخايل الذكاء وهو صغير، وألف وهو ابن تسع عشرة سنة تأليفا في العقائد جعل أستاذه الحسن أبركان يخفيه عن الناس حتى بلغ السنوسي أربعين سنة مخافة الحساد³ ولعل هذا ما يفسر اهتمام المغاربة بعقائد السنوسي ومن المصادر المغربية⁴ التي أولت اهتماما بالغا للشيخ للسنوسي ومؤلفاته و وصفته بـ: "الإمام" محصل المقاصد" لأبي العباس أحمد بن زكري (ت 900هـ)⁵ المواهب القدوسية" للملاي (ت 897هـ)، دوحه الناشر" لمحمد بن عسکر الشفشاوني (ت 986هـ)، "درة الحجال" و "لقط الفرائد لابن القاضي الفاسي (ت 1025هـ)"، "نيل الابتهاج" و "الآلئ السندسية" لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ)، و "البستان" لابن مريم التلمساني (ت 1025هـ)، "الروضة المقصودة" لأبي الربيع سليمان بن محمد الحسني (ت 1231هـ)، "أزهار البستان" لأحمد بن عجبية (ت 1224هـ)، حاشية لأبي المحاسن يوسف الفاسي (ت 1021هـ)، وحاشية العارف الفاسي، وحاشية المأمون بن محمد الحفصي المراكشي التونسي (ت 1037هـ) ومحمد الصالح الشرقي (ت 1139هـ) وحاشية السملالي (ت 1093هـ). وغيرها⁶

2. 1. 2: السنوسي في شرح توحيد ابن عاشر لابن كيران:

وردت آراء السنوسي في شرح توحيد ابن عاشر لعبد المجيد الطيب بن كيران

بإشارات مختلفة، فقد وردت كلمة "السنوسي" حوالي سبعة عشر مرة (17)، مرة ووردت بكلمة الصغرى - وهو الغالب - إحدى وثلاثين مرة (31) مرة ووردت صغرى الصغرى مرتين (02)، وردت كلمة كبرى إحدى عشرة مرة (11) بينما وردت كلمة وسطى مرة واحدة (01). وأما شرح المقدمات⁷ وردت ثلاث مرات (03) فالجُمُوع بذلك 65 مرة بينما وردت ضمينا بإشارات مختلفة خمس وخسين مرة (55) ومن أمثلة ذلك ما أورده المنجور أثناء حديثه عن الفرق في حاشيته على السنوسية ونقلًا عن الآمدي⁸ أو حديث الطيرة والشؤم وقد وردت في شرح صحيح مسلم للآبي والسنوسي⁹ أو في حقائق الأشياء المتعلقة بالاعتقادات¹⁰ وغيرها كثير.

المطلب الثالث: المسائل التي تناولتها: تناول السنوسي مسائل كثيرة سنعرض لنماذج منها وأهمها

2. 3. 1: مسائل الكتاب

2. 3. 1. 1 الحمدلة: يقول ابن كيران: أما الحمد اللغوي الذي هو: المراد في كلام الناظم، وغيره من المصنفين، فقد صرح السنوسي في

شرح صغرى الصغرى: «بأن حكمه الوجوب مرة في العمر كالصلاة على النبي ﷺ والنطق بكلمة الشهادة»

1 - محمد بن عسکر الحسيني الشفشاوني، دوحه الناشر، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، 1977، 1397: ص 121

2 - المرجع السابق، (ص، ن)

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، 2009، ط2، 95/6.

4 - السنوسي، محمد بن يوسف، ثلاث عقائد أشعرية، تح: خالد زهري، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، 1433، 2021، ص 19.

5 - محققها عبد الرزاق دحمون ونال بها درجة الدكتوراه وصدرت مطبوعة في مجلدين عن دار ابن حزم في سلسلة الزواوي للدراسات.

6 ينظر: السنوسي، شرح ثلاث عقائد أشعرية (مص، س) ص-ص 17-59.

7 - كتاب صغير الحجم شرح فيه مقدماته في أنواع الأحكام ومقدماتها (ينظر): شرح الملاي التلمساني على أم البراهين: ص 21

8 المنجور، حاشيته على كبرى السنوسي، مخ: دار الكتب التونسية، رقم 9786، عدد أوراقه 129 والنص في: (ق/18/ظ).

9 -- صحيح مسلم للآبي والسنوسي: 6/37.

10 -- السنوسي، صغرى الصغرى،

يسوق ابن كيران تعريفات للحمد وينتهي به المطاف إلى تعريف الحمد اللغوي الذي أشار إليه الناظم ابن عاشر، وغيره من المصنفين ومنهم السنوسي الذي يرى في حكمه الوجوب ولو مرة في العمر مثله، مثل الشهادة والحج. فقد صرح السنوسي في شرح صغرى الصغرى¹: «بأن حكمه الوجوب مرة في العمر كالصلاة على النبي ﷺ والنطق بكلمة الشهادة» وهو يركز على الحمد اللغوي الذي عناه الشارح في النظم واستشهد بما أورده السنوسي لاتفاقهما في المسألة، فالحمد هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل الصفات؛ والثناء يكون بجميل الصفات وهي تنقسم إلى قسمين ما كان من باب الأفعال (الإحسان) أو باب الصفات الذاتية من باب الكمال المختص بذاته كعلمه سبحانه، والحمد أربعة أقسام: حمد قديم لقديم، وحمد قديم لحادث، وحمد حادث لحادث، وحمد حادث لقديم، وإنما قال: السنوسي بالكلام ليشمل الحد الحمد القديم والحادث لأنهم عرفوا الحمد بأنه الثناء باللسان².

2.3.1.2 الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ واجبة في الجملة: [ق 18 ظ]، حيث أورد قول القاضي ابن عطية³ «أما واجبة على كل حال وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه»⁴، ثم عرض المذاهب التي سارت على هذا الرأي⁵ كجمهور المالكية، الذين قالوا: أن الواجب فيها مرة في العمر⁶، ولا فرق بينه وبين السلام، وقد نص القاضي أبو بكر⁷: «على أنه فرض كالصلاة»، قاله الخطاب⁸، ولم يختلف الشافعية في ذلك بل أقرروا بوجوبها، ثم عرض لطائفة من العلماء على اختلاف مذاهبهم فمن المالكية للخمى⁹، ومن الشافعية الحلبي¹⁰، ومن الحنفية الطحاوي¹¹، ومن الحنابلة ابن بطة¹².

ثم عرج على القائلين بمنفعة الصلاة على النبي ﷺ من الله عز و جل، كابن العربي¹³، وابن عبد العزيز¹⁴، وابن عبد السلام¹⁵: «أما زيادة تكرمه وإنعام، وسلامه عليه زيادة تأمين له، وطيب تحية وإعظام»¹⁶ وأن الدعاء له ليس مكافأة منا إليه بل هو شكر نؤديه.

¹ - السنوسي، شرح صغرى الصغرى، تح: سعيد فودة، ص 43، (د، ن، ت)

² - السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام (مص، س): ص 20

³ - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية البخاري الأندلسي، مفسر، فقيه، قاض، له المحرر الوجيز (ت 542هـ)، الأعلام للزركلي: 282/3

⁴ - ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام شافي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413/1993، ط 1، 461/4.

⁵ - اقتصر ابن كيران على مسائل أربعة من تسعة مسائل كما أوردها صاحب الدليل: ينظر شرح البوري ص 160

⁶ - السخاوي، القول البديع، دار الريان للتراث، (د، ت)، ص 20

⁷ - بضم الباء وفتح الكاف أحمد بن محمد بن بكر القاضي مؤلف أحكام القرآن بغداد (وقيل بصري)، ثقة، فقيه، وهو من المالكية (ت 305هـ): ابن خير الأشبيلي، فهرسة ابن خير الأشبيلي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط 2009، 1، (ينظر) أيضا: القول البديع: 30، وعنه نقل "النشر الطيب": 160/1، نسيم الرياض للخفاجي: 7/5، أخبار القضاة لوكيع: 321/3، غاية النهاية لابن الجزري: 108/47، 1/1

⁸ - الخطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، 1412، 1992، 1، 18/.

⁹ - اللخمى أبي الحسن علي بن محمد (478هـ)،

¹⁰ - أبو عبد الله بن الحسين بن الحسن الحلبي 338 نصه في: المنهاج شعب الإيمان للحلبي: 143/2، سير أعلام النبلاء: 233/17، (ط ر)

¹¹ - الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، الحافظ، المحدث سير أعلام النبلاء: 27/15

¹² - ابن بطة، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، صاحب الإبانة الكبرى (ت 387هـ)، سير أعلام النبلاء: 529/16

¹³ - ابن حجر، فتح الباري، 11/152-168، القول البديع للسخاوي: 34

¹⁴ - الدباغ، الإبريز، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 1، ص 272

¹⁵ - عز الدين بن عبد السلام، شجرة المعارف، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1424، 1، 2003، ص 118، الدر المنثور لابن حجر: 134، القول البديع (مص، س): 34

¹⁶ - السنوسي، شرح أم البراهين، تح: مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 20

و أجاب الشاطبي بقوله: « الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مستجابة على القطع، فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله فيه فقبل»¹ وقد نقلها الحضيكي (ت1189هـ) في طبقاته² وقال القرافي: أن الدعاء لا يتعلق إلا بمعدوم مستقبل كسائر أنواع الطلب وقولنا اللهم صل دعاء فلا يتعلق إلا بعطية لم تعط لرسول الله صلى الله عليه وسلم معدومة، فإن طلب تحصيل الحاصل محال³. كما أشار عبد العزيز الدباغ إلى أن الله لم يشرع الصلاة على النبي لنفعه، بل لمنفعتنا، كالأمطار التي تأتي من السيول فتذهب للبحر فإذا صبت فيه فلا نقول إنها زادت في مائه⁴. ثم أورد ما استشكل على السنوسي انطلاقاً من جواب أبي اسحاق الشاطبي السابق؟ بأنه لو قطع بالقبول للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لقطع له بحسن الخاتمة وهي مجهولة باتفاق؟ وكان جوابه: من جهتين إحداهما إذا قطعنا بالقبول وقضى الله بحسن الخاتمة فإن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعاً، على خلاف الأعمال الأخرى أو الأدعية التي لا صلاة فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنها - أي الحسنات - محل شك حتى وإن مات صاحبها على الإيمان فهي مسألة ظنية، وثانيهما القطع بالقبول إذا ارتبطت بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم فنفعها وارد في الأخرى كتخفيف العذاب عن أبي طالب، وأبي لهب بسبب حبهما للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فإذا كان هذا الحب الطبيعي فما بالك بحب المؤمن⁵، ولعل ابن كيران ناصر المسألة من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء له، على خلاف قطعية الثواب للمُصَلِّي فتلك مسألة ظنية؟ وهذه محاولة توفيقية من ابن كيران في هذه المسألة وهذا ما استبعده الوزاني في نشره⁶ لأن الله سبحانه أكرم أن يقبل الصلاة باعتبار دون آخر، و رجح موقف الدباغ في هذه المسألة ذي النزعة الصوفية القائلة بنورانية محمد صلى الله عليه وسلم إذ الكلام في القبول للمُصَلِّي لا المصلى عليه والقاضي بالقبول؛ بدليل أنه توقف في مسألة التبعات والمظالم اقتداء بموقف أبو زيد الفاسي لغياب قطعية الدليل في المسألة.

3.1.2. 3 الكرامات تعد مسألة الكرامة من المسائل الثابتة في الفكر الأشعري لأنها ترفض مبدأ السببية الذي يعد الخصم المنطقي والعقلي

لظاهرة الكرامة⁷ وعلى درب أئمة التصوف الكبار الذين اعترضوا على توظيف الكرامة وهذا من قبيل تصوف الإمام السنوسي الذي كان يحارب المبتدعة ممن أدعى الولاية والكرامة، وقال القشيري الكرامات: تكون خارقة ولكن لا تنتهي إلى حصول انسان بلا أبوين أو قلب جماد بهيمة، أو نحو ذلك، وقال جمهور أهل السنة: "كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي، ولا ينبغي للمؤمن أن يقصد بشيء من طاعته الوصول إلى الكرامات ولأدخل عليه الشرك الخفي ومكر به فهذا هذا مما يجب أن يصفى منه قلبه عند ذكر التوحيد وليكن قصده رضى مولاه «.

3.1.2. 4 علم الكلام: تعرض ابن كيران لتعريف علم الكلام في مقدمة كتاب الاعتقاد فأشار إلى تعريف الاستمداد عند المناطقة⁸

والأصوليين⁹، ومبادئه كالحل والموضوع ونسبته وغيرها. والتوقف فيه لاعتبارات ثلاث: معرفته، الشروع فيه، البحث في مسائله. وأورد تعاريف السيوطي (فحد أصول الدين علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده وهو قسمان قسم يقدح الجهل به في الإيمان كمعرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية

¹ - الشاطبي، المقاصد الشافية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، تح: عبد الرحمن بن سليمان، 1418، 2008، ط 1، 13/1

² - محمد بن أحمد، طبقات الحضيكي، تح: أحمد بومزقو، ترنيت، الدا البيضاء، المغرب، 2006، 1427، ط 1، ص

³ - القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، الفروق، عالم الكتب (د)، ت، 87/1.

⁴ - الدباغ، الإبريز (مرجع سابق) ص 272.

⁵ - مخطوط للسنوسي، الورقة الثانية، دار مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم المخطوط 3 m151

⁶ - الوزاني، نشر الطيب على شرح الشيخ الطيب،

⁷ - عبد السلام، المنصوري، بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية، الرباط، ط 1، ص 239.

⁸ - مبادئ العلم الاصطلاحي التي تقدم على الشروع في العلم بأجزائه الثلاث: الموضوعات (التصورات)، التصديقات، والمبادئ، والمسائل. (ينظر: الوزاني، النشر الطيب: 231/1

⁹ - ما يستمد منه العلم وتؤخذ منه أحكام وقواعد كاستمداد علم الفقه من الكتاب والسنة. الوزاني، (مص، س): ص، ن

والسلبية والرسالة والنبوة وأمور المعاد، وقسم لا يضر كتفضيل الأنبياء على الملائكة¹. أما السعد والعتار فقد اتفقا على أنه هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية² وهو ما يراه ابن كيران مناسباً وموافقاً لنظم ابن عاشر فقد ذكر في الترجمة القاعدة الأولى من قواعد الإسلام وهي الشهاداتتان وما اشتملت عليه من العقائد وبراهينها وانما مندرجة كلها في كلمة التوحيد³ كما ذكر فيها الحكم العقلي وأقسامه وأول ما يجب على المكلف، وشروط التكليف وجعل الكل مقدمة لكتاب الاعتقاد لأن مدارها على الحكم العقلي وأقسامه⁴ ويظهر تأثر ابن كيران واضحاً في تقريره لتعريف ابن عرفة الذي يقره السنوسي في تعريف القدر الواجب معرفته ولو كفاية حده بقوله: "العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل وصدقها في كل أخبارها، وما يتوقف شيء من ذلك عليه خاصة به وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك"⁵. مستبعداً ما خدّه ابن التلمساني الذي يرى: "أن العلم بثبوت الألوهية والرسالة وما يتوقف معرفته عليه من جواز العالم وحدوثه، وإبطال ما يناقض ذلك"⁶ ما يدلنا على قوة منطق السنوسي من جهة وتأثيره على المنظومة الكلامية في الغرب الإسلامي.

3.1.2. 5 الوجود. لم تشغل مسألة كلامية كما شغلت علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمناطق، ومن فرق شتى، كاشتغالهم بمسألة الجوهر والعرض وما يتصل بهما من مسائل وأهمها مسألة الوجود، خاصة ان هناك نقطة جوهرية في المسألة تتعلق بإشكالية اللغة من جهة أو ما يعرف بالبيان، ومسألة الحال أو ما يعرف عادة بالعرفان⁷، وقد ناقش الإمام ابن كيران متأثراً بالسنوسي وغيره من الأئمة الأشاعرة مبحث صفة الوجود وعرض لكثير من أرائهم ومصححا لبعض المفاهيم التي وقع بشأنها الأخذ والرد حتى بين الأشاعرة أنفسهم، بسبب ما كانت تمليه طبيعة المرحلة ومسايرة للواقع الذي يسعى للحفاظ على مكاسب الأمة آنذاك .

فقليل إنه بديهي تصوره فلا يجوز حينئذ أن يعرف إلا تعريفاً لفظياً، وقيل هو كسبي فلا بد حينئذ من تعريفه وقيل لا يتصور أصلاً لا بداهة ولا كسباً، والمختار أنه بديهي⁸

وأبي قوم تعريفه كالعلم والوجود والعدم أي كما أبوا تعريف ما ذكر، قيل لأن كلا من الأربعة ضروري فلا حاجة إلى تعريفه⁹ قال الفاسي: اعلم أنه ينبغي في مثل ذلك، أن تؤمن بما هو عليه وبما علم هو عليه نفسه تعالى، من غير تعرض لكون وجود الشيء نفس حقيقته أو غيره، وكذا سائر الصفات هي له على ما يعلم هو، فلا نقول هي هو أو هي غيره، ولا الذات والصفات شيئان ولا شيء واحد بل نكف على القول ونسلم علم ذلك، فالإيمان بالصفات هو ثناء على الله تعالى، ونحن لا نحصى ثناء على الله تعالى، لكن مبني كلام الشيخ على مذهب النظر لم يكن بد من تحقيق مرامه¹⁰

1 - جلال الدين، السيوطي، إتمام الدراية لقراء النقاية، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405، ط 1، 5.

2 - العطار، حسن بن محمد، حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1437، 2016، 692/2. التفنازي، شرح المقاصد 5/1.

3 - ميارة، الدر الثمين، 56/1.

4 - أحمد، ودادي، كفاية القاصر على نظم ابن عاشر: ص 31.

5 - قادة، رقيق، كتاب شرح المرشد المعين: ص 184، شرح الحامدي على السنوسية: ص 97، 96، الوزاني، النشر الطيب، 1/236، 237.

6 - شرف الدين، ابن التلمساني، معالم أصول الدين للفخر الرازي، ط 1، دار مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1432، 2011، ص 31، حواشي الحامدي على كبرى السنوسي: ص 97.

7 - لمزيد اطلاع حول هذه المسألة ينظر محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، الفصلين الخامس والسادس ص 175 إلى 239.

8 - الإيجي، كتاب المواقف، تج: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، 1997، ط 1، ص 220.

9 - العطار، حاشية العطار (مص، س) 132/2.

10 - النشر الطيب (مر، س) 362/1.

وعليه اختلف في معناه؛ فالأشعري يرى أنه عين الذات، وقال الرازي أمر اعتباري، وقال إمام الحرمين و الباقلاني حال، وقالت الكرامية صفة، وقيل صفة سلبية ويفسر بسلب العدم على الإطلاق¹ ليصل إلى مختار المحققين الذين قالوا بأنها صفة نفسية. وهذا ما أكدته شيخ هذه الصناعة المجمع على جلالته الإمام السنوسي في هذا المبحث: وفي عد الوجود صفة على مذهب الشيخ الأشعري تسامح² لأنه عنده عين الذات، ليس بزائد عليها، والذات ليست بصفة لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فقط، فيقال ذات مولانا جل وعز موجودة، صح أن يعد صفة على الجملة، وأما على مذهب من جعل الوجود زائدا على الذات كالإمام الرازي فعده من الصفات صحيح لا تسامح فيه، ومنهم من جعله زائدا على الذات في الحادث دون القديم وهو مذهب الفلاسفة³

وقال في شرح الكبرى: إنما نعرف من صفاته تعالى بالعقل ما دلت عليه أفعاله فإن لم يدل الفعل لجأنا إلى السمع فإن لم يرد وجب الوقف، ولعل هذا الذي أشار له السعد في مقاصده بعدما ناقش هذه المسألة: قال وما أعجب حال الوجود يتعجب من اختلافات العقلاء في أحوال الوجود، ومع اتفاقهم على أنه أعرف الأشياء مع أن الغالب من حال الشيء أن تتبع ذاته في الجلاء والخفاء، ولأن ما ذكر في زيادة الوجود على ماهية، من أنا نعقل الماهية ونشك في وجودها جاز بعينه في وجود الوجود؛ فإننا نعقل الوجود ونشك في وجوده فلو وجد لكان وجوده زائدا وتسلسل، وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه الفلاسفة من أن ماهية الواجب نفس الوجود المجرد؛ وذلك لأننا بعدما نتصور الوجود المجرد، نطلب بالبرهان وجوده في الأعيان فيكون وجوده زائدا ويتسلسل ولا محيص إلا بأن الوجود المقول على الوجودات اعتبار عقلي، وقيل الوجود ليس بموجود ولا معدوم بل واسطة، ومنها اختلافهم في أن الوجودات الخاصة نفس الماهيات أو زائدة عليها كما، ومنها اختلافهم في أن لفظ الوجود مشترك بين مفهومات مختلفة على ما نقل عن الأشعري أو متواطئ⁴ يقع على الوجودات بمعنى واحد لا تفاوت فيه أصلا أو مشكك يقع عليها بمعنى واحد، هو مفهوم الكون لكن لا على السواء وهو الحق⁵ وهو ما أقره ابن كيران وحثنا على الانتفاع به وقد أوردناه في حينه من أن الخلاف بين الأشعري وغيره لفظي: «وهذا التحقيق هو المأخوذ من كلام السعد⁶ والتاج السبكي⁷ وغيرهما فعليك به». والأصل كل ما يخطر ببالك فهو خلاف ذلك لذلك يقرر قاعدة ذهبية في هذه المسألة فقال: وجوده تعالى هو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء. و وجود غيره مسبوق بالعدم، ويلحقه العدم. ومنها أن وجوده تعالى هو الواجب عقلا ونقلا، الذي يستحيل انتفاؤه و وجود غيره جائز لا يلزم من انتفائه. محال أصلا ومنها أن وجوده تعالى هو الذي لا يفتقر إلى مستند أصلا، ووجود غيره مستند إلى قدرته تعالى وإرادته ابتداء، وكذا دواما على الصحيح فلولا إنعامه على المكونات بإيجادها لم توجد، ولولا إنعامه عليها بإمدادها في كل لحظة لاضمحل وجودها لينتهي هذه المسألة برؤية صوفيه.

الله قل وذو الوجود و ما حوى *** إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته *** عدم على التفصيل والإجمال

واعلم بأنك والعوالم كلها *** لولاه في محو وفي اضمحلال

1 - نفسه، ص، ن

2 - إبقاء كلام الأشعري على ظاهره (موجودة عللة)

3 - السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 29

4 - القائل بالتواطؤ المعتزلة: النشر الطيب: 400/1

5 - سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد (مص، س): 76/1

6 - الإحالة السابقة

من لا وجود لذاته من ذاته *** فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشعروا *** شيئاً سوى فعل من الأفعال

تجد الجميع يشير نحو جلاله *** بلسان حال أو لسان مقال

وقد بين صاحب مفتاح دار السعادة أن الوجود له مراتب أربعة¹ الخارجية والذهنية واللفظية والخطية، وترجمه طاش كبري زاده للعلوم حينما بين للمسلمين أنهم بحثوا عن الحقيقة في مستويات وجودها الأربعة، الوجود العيني في الواقع، الوجود الصوري في الذهن، الوجود اللفظي في العبارة، والوجود الخطي في الكتابة، ثم جعل ذلك أساساً في إحصائها للعلوم التي أنحأها إلى ثلاثمائة علم²

ولعل هذا ما أشار إليه الغزالي: فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات³

2.3.1.6 التقليد:

ومحل النزاع في المقلد في أصول الدين، و أقوال أهل العلم في ذلك، وتلك من أهم المسائل التي أفاض فيها السنوسي؛ حيث عرف التقليد من أنه العمل بقول الغير من غير دليل ولا برهان⁴ فيخرج منه عمل العامي بقول المفتي لأنه يستند إلى حجة، ويعتبر السنوسي مسألة التقليد أحد الأسباب الرئيسة في تراجع الحركة العلمية في المدارس المعرفية والفكرية، لدرجة اعتبر فيها أن باب التقليد قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر ما لم يكن عارفاً مدركاً بمقتضيات الأحوال⁵

و الإمام السنوسي في مسألة المقلد، يرفض أن يكون المؤمن ممتناً لحرفة التقليد: «و لا يرضى لعقائده حرفة التقليد فإنها غير مُخْلِصة في الآخرة عند كثير من المحققين»⁶. وقد اشتهر عن الإمام السنوسي بعدم اعتبار عقيدة العامي لعدم تمكنه من النظر الواجب عليه، وهذا هو سبب انكار من أنكر على الإمام، وعاد إلى قول الجمهور القاضي بصحة الإيمان⁷ وقد اعترض ابن زكري في محصل المقاصد على هذه المسألة واتهم صاحبها بالكفر فقال:

قد حكم القاضي ابن رشد للعوام *** بكفر من كفرهم في ذا المقام

ولعل الإمام السنوسي قد أشار إلى رفض الإيمان التقليدي لوجوب النظر بدليل ما أورده في الوسطى إذ يقول: وهذا مذهب جمهور المتكلمين عند بعضهم وأنكره بعضهم وقال الجزم بالتقليد المطابق كاف في الإيمان ومخلص بفضل الله من الخلود في النيران⁸ ومعلوم أن التقليد المحض لم يتحقق لمعظم العامة إذ ما منهم من أحد إلا وقد أدرك الإيمان بنوع من استدلال ونظر ولو إجمالي كقول الأعرابي: البعرة تدل على البعير⁹ ويدلك هذا على أن الإمام لم يشترط في العامي معرفة الجوهر والعرض وغير ذلك من المسالك والمصطلحات¹⁰ والتي لا قبل للعامة منها في شيء، فمخاطبة

1 - ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د)، 58/1، ت.

2 - عبد المجيد عمر النجار، الإيمان والعمران، إسلامية المعرفة، العدد 8، ذي الحجة 1437/أبريل 1997، ص 39-84

3 - الغزالي، قواعد العقائد، عالم المكتبة، لبنان، 1405، 1985، ص 111

4 - شرح الماللي، (مص، س)، ص 95، الوسطى: 36

5 - سعيد عيادي، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي بن مرابط للنشر والتوزيع، 2011، 1432، ط 1، ص 188

6 - السنوسي، شرح العقيدة الكبرى، تح: بوكعير بلکرد، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2011، ص 155 وما بعدها

7 - السنوسي، شرح السنوسية الكبرى (مص، س)، 153

8 - السنوسي، الوسطى (مص، س)، ص 38،

9 - السنوسي، شرح السنوسية الكبرى (مص، س)، ص 155

10 - نفسه، (ص، ن)

الناس على قدر عقولهم أمر محمود ، إن رفض الإيمان التقليدي هو الوجه الآخر للدفاع عن وجوب النظر وهو ما جعل الإمام السنوسي يكرس كل جهوده لتبسيط العقائد وشرحها واختصارها و تقريبها من فهم الناس ومساعدتهم على الخروج من حال التقليد¹

2.3.1.7 الصفات:

وهي نقطة أساسية لفهم أراء الشيخ السنوسي الكلامية وهي تنقسم إلى أربعة أقسام، أولها: ما يعبر عن النفس الذات العلية وهي الوجود: «فما يجب لمولانا جلا وعز عشرون صفة وهي الوجود»²، ثانيها: ما يرجح معناه إلى سلب نقص مستحيل على الله: وهي خمس صفات: «القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه تعالى بنفسه والوحدانية»³ وهذه الصفات لا وجود لها في الخارج⁴، ثالثها: صفات المعاني: كالصفات الوجودية القائمة بالذات العلية وهي الصفات الموجودة في نفسها وعددها سبعة: «القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر والكلام»⁵ أما الرابعة وهي آخر الصفات المعنوية: «صفات الذات اللازمة لصفات المعاني، إنها أحوال زائدة والحال ليست موجودة في نفسها ولا معدومة تقوم بوجود»⁶

«الممكنات المتقابلة ست الوجود والعدم والمقادير والصفات والأزمنة والأمكنة والجهات»⁷ وقد أشار ابن كيران إلى تأثير السنوسي بأقوال الفلاسفة زيادة عن تأثره بالقرآن الكريم ويستعمل في منهجه طريقتين التديلي "في المتن"، والترقي "في الشرح"⁸ الأول يستعلمه السنوسي في الاستدلال على وجوده تعالى بحدوث العالم، وحدوث العالم بحدوث الأجرام، وهذا بحدوث الأعراض، وأما الثاني فهو تفصيلا لخطوات الطريق الأول وهو يرتقي فيه مما تقدمه المشاهدة، ومعلوم أنه قد سلك طريق الإمكان فلاسفة مسلمون كالفارابي، وابن سينا، وأبي البركات البغدادي⁹ المتأثرين بفكرتي الإمكان والوجوب الأرسطيتين، وقد نسب ابن رشد هذا الطريق إلى أبي المعالي الجويني، وقد أبدى السنوسي نوعا من النفور الفلسفي لكنه لم يسلم منه¹⁰.

● خاتمة:

سجلت عقائد السنوسي أهمية معتبرة في الشرق والغرب لكونها قدمت إضافة نوعية للفكر الاسلامي عموما والأشعري خصوصا بالغرب الإسلامي فهي نموذج فريد يحتذى به في فهم عقائد أهل السنة والجماعة، لذلك جاءت الأوصاف التي وُصِفَ بها الإمام السنوسي كوصفه بصاحب الصناعة، أو الإمام المتكلم، أو صاحب العقائد، أو مجدد القرن بما يليق وشخصية هذا العالم الفذ الذي أحدث نقلة نوعية على مستوى الفهم والإبداع، فكان مشروعه العقدي التجديدي بمحاربة البدع والخرافات وتنقية الفكر الإسلامي بما علق به من

1 - سعيد البوسكلاوي، بعض سمات كلام السنوسي وحدوده، مؤمنون بلا حدود، 18، يونيو 2016، ص 21

2 - السنوسي، شرح الملاي، (مص، س)، ص 40

3 - المرجع السابق، (مص، س)، ص 40

4 - جمال الدين بوقلي حسن، الإمام السنوسي وعلم التوحيد، (مر، س)، ص 170

5 - نفسه 170

6 - (نفسه) 170

7 - شرح المقدمات (مص، س)، ص 242، حاشية الدسوقي: 100، الباجوري: 65، الكلمات الشافية: 65

8 - الدسوقي، حاشية الدسوقي على أم البراهين، دار إحياء الكتب العربية (د، ت)، ص 150

9 - هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، أبو البركات، المعروف بأوحد الزمان: طبيب، فيلسوف من سكان بغداد. له المعبر في الحكمة (ت 560هـ). الأعلام للزركلي: 74/8

10 - جمال الدين بوقلي حسن، السنوسي وعلم التوحيد، (مر، س)، ص 186

الشواذب، وإبراز أهمية التوحيد كعنصر فاعل في منظومة الايمان العقديّة التي تحقّق التفوق بوصفها عنصرا أساسيا ومحطة إقلاع لتغيير التصورات والمفاهيم فتكون بذلك النواة الأولى لكيمياء السعادة وأكسير النجاة على حدّ تعبير السنوسي. وأهمّ النتائج المتوصل إليها:

الاهتمام بموضوع العقيدة كأساس لبناء التصورات والمفاهيم.

الجدل والنقاش في مسائل العقيدة وربطها بمسائل فلسفية (الدور التسلسل)

التداخل المعرفي بين العلوم كما هو الحال بين أصول الفقه وأصول الدين

وعلى مستوى الفروع كما بين المنطق والفقه.

حيوية المدرسة المغاربية وقدرتها على التجديد (السنوسي، ابن عاشر، ابن كيران).

التأكيد على القيمة العلمية للعقائد السنوسية وأهميتها في الدرس العقدي والمذهبي

القدرة العلمية الفائقة للمدرسة المغاربية في تطوير الدرس السنوسي على مستوى الزمان وامتداداته من القرن العاشر (عصر السنوسي) إلى

القرن الثالث عشر (عصر ابن كيران) بل واستمراره الى يومنا هذا.